

مقدمات لا بد منها

بحث في مادة العروض

إعداد/ أحمد محمد عيسى

قسم اللغة العربية

كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

ahmed.mahdey@mediu.ws

موسيقى الشعر عنصر أصيل فيه؛ لميل الطبع، وإقبال النفس، وارتياح خاطر، وهي حركات وسكنات على أبعاد متناسبة متناسقة، كذلك التي تكون في خريف الماء، وحفيف الرياح، وزقزقة العصفير. وقد امتاز الشعر عن غيره من الكلام بموسيقاه، وهو بدونها يغدو نهراً بلا ماء، وحديقة بلا أزهار، وأفقاً منطقي النجوم..

إن الشعر والموسيقى غصنان مثمران في شجرة الفنون الجميلة، والصلة بينهما وثقى حميمة، فالشعر إلى الموسيقى أقرب رحماً، فكلاهما فن سمعي. والقصيد إذا فقدت العنصر الموسيقي (الوزن الشعري) خرجت من دائرة الشعر إلى دائرة النثر... ولم تعرف لغة من اللغات كل هذا النظام الدقيق للشعر وإيقاعاته واختتام هذه الإيقاعات بالقوافي، ولعل ذلك كان أهم سبب في أن الشعر العربي ظفر بكل شعر لقيه بعد الفتح الإسلامي، فلم يثبت له الشعر الفارسي ولا غير الشعر الفارسي، بل كان كل شعر يلقي له عن يد، وكيف لا؟! وهو بحر متلاطم من النغم، وكل من يقف على شطآنه يأخذه الانبهار والعجب. ولعل مما يؤكد الصلة بين الشعر والموسيقى والإيقاع الدور الحيوي للموسيقى في اكتشاف الخليل علم العروض.

لقد عرف العرب الموزون وغير الموزون بالفطرة التي كانت تساعدهم على التمييز، وتسعهم عندما تشبه عليهم الأمور، وبهذه الفطرة والذوق العام كان العربي يقول كلامه في توقيع منسق ووزن مطرد، وكان للخليل الفراهيدي فضل التقعيد والتفتين ووضع معايير عروضه من قياسات الشعر العربي؛ ليجعل لمن يريد قرض الشعر معلماً يفيء إليه؛ تقويماً للأذواق، وحفاظاً على سلامة النغم من الاضطراب، والاختلاط.

وما كان امرؤ القيس حين قال: «قفا نَبِّكُ» يعلم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي سيقطعها على قوله: «فعلن مفاعيلن»، وإنما وقعوا - أي العرب - على هذه الأبحر الشعرية من طريق الفطرة وطول المعاناة، ونظموا في بعضها أكثر من بعض، وأكثروا في قوافيهم من بعض حروف الهجاء دون بعض. سئل الخليل من بعض معاصريه: هل للعروض أصل عند العرب؟ فقال: نعم، وفدت من المدينة المنورة حاجاً في طريقي إلى مكة، فاسترعى نظري شيخ قد أقبل على فتى يُلقنه:

نعم لا، نعم لا لا، نعم لا لا، نعم لا لا، نعم لا لا، نعم لا لا.
فقلت له: ما هذا الذي تقول لفتاك؟ فقال الشيخ: علم يتوارثونه عن السلف، يقال له: «التنعيم» لقولهم فيه «نعم» قال الخليل: فرجعت فأحكمتها، بمعنى: أنه وزن «نعم لا» بـ«فعلن» و«نعم لا لا» بـ«مفاعيلن».

وقيل: إن العرب في الجاهلية كانت تعرف نغم الأبحر، بأن يكرر أحدهم أجزاء بيت من بحر ثم ينظم عليه.

المراجع والمصادر

- 1 - الأسعد، عمر الأسعد، أهدى سبيل إلى علمي الخليل، معالم العروض والقافية، الوكالة العربية للتوزيع، ١٩٨٤م.
- 2 - ابن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس - بيروت ١٩٨٠م.
- 3 - التبريزي، الخطيب التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٢م.

خلاصة— هذا البحث يبحث في مقدمات لا بد منها في مادة علم العروض. الكلمات المفتاحية: الشعر، علم العروض، موسيقى الشعر، أوزان الشعر.

I. المقدمة

عرف العرب الشعر كما عرفوا النثر وكانوا يشبهون ناظم الكلام (الشاعر) بناظم الدرر، لقد عرفوا الشعر متحلياً بإيقاع الوزن، ومسلوياً في نظام القافية، فلا جرم كان الشعر بهذه المزية يعد حضارة في اللغة، وزينة في بيان المنطق، وحلية حادثة في الأدب، والعرب قد امتازوا بهذا الشعر، وما كان للناس عجب أن يمتاز العرب بهذا الشعر، وأن يفوقوا فيه سائر الأمم؛ إذ كان صناعتهم، وكانوا مصروفين إلى هذا الفن الجميل من الكلام، ومن ثم كان الشعر ديوان العرب ... نعم؛ فتن العرب بالشعر، فدخلوا عليه من كل باب، وهاموا به في كل واد، وأنشدوه في كل ملحمة وناد، وكان لهم بتنظيماته إلف وذوق.

II. موضوع المقالة

عرف العرب الشعر كما عرفوا النثر وكانوا يشبهون ناظم الكلام (الشاعر) بناظم الدرر، لقد عرفوا الشعر متحلياً بإيقاع الوزن، ومسلوياً في نظام القافية، فلا جرم كان الشعر بهذه المزية يعد حضارة في اللغة، وزينة في بيان المنطق، وحلية حادثة في الأدب، والعرب قد امتازوا بهذا الشعر، وما كان للناس عجب أن يمتاز العرب بهذا الشعر، وأن يفوقوا فيه سائر الأمم؛ إذ كان صناعتهم، وكانوا مصروفين إلى هذا الفن الجميل من الكلام، ومن ثم كان الشعر ديوان العرب ... نعم؛ فتن العرب بالشعر، فدخلوا عليه من كل باب، وهاموا به في كل واد، وأنشدوه في كل ملحمة وناد، وكان لهم بتنظيماته إلف وذوق. طفق العرب في قرض الشعر يتنافسون، وفي أوديته يهييمون، حتى صار منهم فحول عماليق، كل امرئ منهم لهم ديوان.

إن موسيقى الشعر عنصر مهم وحيوي بين عناصر التشكيل الفني للقصيد العربية، فالشعر مرتبط بالإيقاع، انطلاقاً من وظيفته وطبيعته ولغته. وإن موسيقى الشعر ليست دخيلة عليه أو مستعارة له من فن آخر؛ لأنها نابعة من لغته الشاعرة، وما تحتشد له من طاقات صوتية، فضلاً عما يتمتع به الشعر من أبنية الأوزان والقوافي، وما لموسيقى الشعر أن تبرح أصلاتها فيه وفاعليتها. ومنذ وجد الشعر وجدت معه الأوزان، وكأنه يلبي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى، وأول صورة راقية لأنغام شعرنا العربي والحانه هي صورة العصر الجاهلي، وهي خاتمة صور كثيرة سبقتها من فجر الإنسانية الذي انبثق في صحراء العرب إلى أوائل القرن السادس للميلاد، وقد كثرت صور أوزان الشعر العربي كثرة أغنتها غنى واسعاً لا نعرفه لأي شعر من أشعار اللغات غير العربية، ولكن مع ذلك لا تبدأ القصيدة بصورة معينة من صور الوزن حتى تستقر فيها، وتصبح أساساً لجميع النغم الذي يتلوها، ومن ثم تظفر القصيدة العربية بالتوازن النغمي الدقيق، المطرد إلى نهاية يستقر فيها النغم؛ هي القافية، التي هي قرار البيت، فعندها يصل اهتزاز اللحن إلى غايته، إذ يتم إيقاعه، وذلك حتى لا يحدث اختلال في انفعالات السامع، فلا نشاز ولا تشويش، وإنما موسيقى ينظم فيها الإيقاع، فهي دائماً عدد منتظم من الاهتزازات الصوتية والموجات الموسيقية، لا نقص فيه ولا زيادة، في شكل قانون صارم، فيه تكمن القوى الخفية الغربية للشعر العربي، حتى كانوا لا يميزون بينه وبين السحر، نتيجة ما يحمله من إيقاعات منتظمة .. ولا غرو!!

- ٤ - سالم، أمين عبد الله سالم، عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد، ١٩٨٥م.
- ٥ - السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق : رمضان عبد التواب، دار النهضة ١٩٨٥م.
- ٦ - الضبيع، يوسف الضبيع، الرّياض الوافية في علمي العروض والقافية، دار الحديث - القاهرة ١٩٩٨م.
- ٧ - الميرد، القوافي، تحقيق : رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٧٢م.
- ٨ - مناع، هاشم صالح مناع، الشافي في العروض والقوافي، دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣م.
- ٩ - الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العربية - بيروت ١٩٩٠م.
- ١٠ - الهاشمي، محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، ١٩٩١م.